الأنساب والأولاد

دراسة لموقف الشريعة الإسلامية من التلقيح الصناعي
وما يسمى بأطفال الأنابيب

تأليف

عبد الحميد محمود طهماز

دار العلوم
بيروت

الأنساب والأولاد

دراسة لموقف الشريعة الإسلامية من التلقيح الصناعي وما يسمى بأطفال الأنابيب

تأليف

عبد الحميد محمود طهماز

دار القلم
دمشق

دار العلوم
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

دار العلوم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص. ب : ١١٣/٦٥٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وشرَّفه بالقرآن، وعلَّمه البيان. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان. أما بعـــد:

فإن التقدم العلمي من أجل العلم فقط، أو من أجل تحقيق الشهرة، أو الكسب المادي والتفوق والسيطرة خطرٌ كبير على وجود الإنسان وحياته، وهو أخطر ما أفرزته الحضارة المادية المعاصرة.

فليس كل تقدم علمي أحرزه الإنسان في مضمار العلوم التجريبية مفيداً له ونافعاً، بل أصبح تقدم الإنسان في بعض هذه العلوم خطراً كبيراً على الإنسان وعلى بيئته وبقائه فيها، وما وسائل التدمير التي صنعها الإنسان بيده، واستنزفت كثيراً من طاقاته وجهوده، إلا النتيجة الطبيعية للنظرة المادية المجردة عن الإيمان بالله تعالىٰ وعن القيم الأخلاقية الإنسانية، ومن ذلك المفاعلات النووية التي أنفقوا عليها البلايين والملايين وأصبحت من أكبر مصادر الخطر على بيئته الإنسان وحياته[1]، وإن التخلص من نفايات هذه المعامل النووية مشكلة كبيرة لما فيها من خطر على الإنسان وعلى بيئته[2].

---

(١) أخبار التسرب الإشعاعي من المفاعل النووي السوفييتي في تشرنوبل ملأت الصحف والمجلات، ولا زالت حديث الإذاعات.

(٢) ذكرت الإحصائيات الرسمية أنه يوجد ٢٠ ألف طن متري من القمامة النووية المميتة لا =

ومثل هذا يقال في شأن البحوث التجريبية التي تُجرىٰ على الإنسان لاستحداث طرق جديدة للإنجاب البشري، ففي الوقت الذي ينادي كثير من علمائهم وباحثيهم بفكرة تحديد النسل خوفاً من زيادة عدد البشر وحدوث ما يسمونه بالانفجار السكاني في الأرض، ويبتكرون لتحقيق هذه الفكرة آلاف الوسائل، ويستبيحون قتل ملايين الأجنة بعمليات الإجهاض، تراهم يدأبون لاستحداث طرق جديدة للإنجاب.

ماذا يريد المتنافسون في مراكز الأبحاث؟ ولماذا يبحثون عن كل جديد سواء كان ضاراً أو نافعاً، سماً أو ترياقاً؟ ما هي الأهداف الإنسانية النبيلة التي يريدون تحقيقها من وراء بحوثهم واختراعاتهم والتي جعلت الإنسان مهدداً في بيئته ووجوده، حتى أصبح في أمس الحاجة ليحمي نفسه من نفسه.

إن التلقيح الصناعي الذي استحدث للإنجاب البشري والمطوَّر عن الوسائل المحدَثة لإنجاب الحيوان خطر كبير على الإنسان وحياته الاجتماعية وقيمه الأخلاقية، ولئن كانت وسائل التدمير ونفايات المواد النووية والمشعة خطراً على بيئة الإنسان وعمرانه وصحته فإن الوسائل الحديثة المبتكرة للإنجاب خطر على جوهر العلاقة الإنسانية الفطرية، إنها تهدد بنسف كل القيم الأخلاقية والاجتماعية التي لا يستغني الناس عنها ولا تصلح حياة الناس بدونها، فليس كل ما يصلح للحيوان يتلاءم مع الإنسان ويصلح له، فللإنسان قيم ومبادىء وأفكار ومشاعر وعواطف لا ينبغي تجاوزها وإهمالها.

وقد يقول قائل: إن المجتمعات الإسلامية بعيدة عن مثل هذه الأمور ولا يمكن أن تسري إليها، وأقول: لكن الواقع المشاهد يؤكد أن كل ما يستحدث خارج المجتمعات الإسلامية يسري إليها وينتشر فيها، وسبق أن

= يُعرف كيفية التخلص منها. انظر مجلة الشرق الأوسط العدد ٤٦ ـ ١٤٠٧ هـ.

أخبر النبي ﷺ في الحديث الشريف الذي يعد من أعلام نبوته ما يؤكد هذه الحقيقة، فقد قال ﷺ: «لتتبعُنّ سَنَنَ الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتىٰ لو دخلوا في جُحْر ضَب لاتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!»[1]، والتمثيل في الحديث الشريف بالشبر والذراع وجُحْر الضب يدل على شدة الموافقة لهم والتأثر بهم.

وإن طبيعة الحياة المعاصرة، وقوة وسائل التوجيه والإعلام، وكثرة الاتصالات والارتباطات سهلت هذا الأمر ويسرته، وجعلت المجتمعات الإسلامية معرّضة لكل آفات الحضارة الغربية المعاصرة.

وإن مناداة بعض علماء المسلمين بجواز بعض صور التلقيح الصناعي يساعد في انتشار هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة في صلب المجتمعات الإسلامية، وإن القيود والاحترازات التي وضعوها غير مجدية وغير عملية وواقعية ولا تأثير لها في حقيقة الأمر، كيف يمكن أن يتم التلقيح الصناعي دون أن يؤدي إلى احتمال اختلاط الأنساب، وكيف يتم بدون كشف للعورات؟!.

ولقد حاولت في هذا الكتاب أن أبيّن نظرة الإسلام الشاملة إلى الأنساب وأهميتها وضرورتها للإنسان، وخصصت الفصل الأول لهذا الموضوع، ثم خصصت الفصل الثاني للحديث عن الأولاد وموقعهم في نظر الإسلام من حياة الإنسان، ثم على ضوء هذا بيّنت في الفصل الثالث ما ظهر لي من رأي الإسلام في طريقة الإنجاب الحديثة على ضوء قواعده الشرعية الفقهية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والنظرة الواقعية العملية لحدود وأبعاد هذا الأمر المستحدَث.

والله أسأل أن يسدّد خطانا، ويجنّبنا الخطأ والزلل، وأن يحمي

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

مجتمعاتنا الإسلامية من غوائل وشرور الحضارة المادية المعاصرة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله تعالى
عبد الحميد بن محمود طهماز
نجران في ٩/٨/١٤٠٧ هـ
٧/٤/١٩٨٧ م

الفصل الأوّل

الأنساب